التشكيلـيّ في البصرة.. صناعـة الفضاء في العدم

بعد جرعة الحريّة الهائلة التي سكبها في فمه العام ٢٠٠٣ واجه الفنان التشكيلي في البصرة، من جديد، مشكلته المزمنة مع الفضاء الذي يسع خطابه الخاص، ولا يعدو جداراً نظيفاً بلون محايد يستقبل إنارة كافية من مصدر ضوئي في مكان يصلح لإطلاق نصّ بصَريّ في حضرة جمهور مهتمّ..

هاشـم تايـه

من اعمال سوادي

وفي هذا العدم المكانيّ - لو سمح المفهوم - كابد التشكيليّ في البصرة عناء صناعة فضائه الخاصّ ساعة قرّر أن يعرض تجاربه، واكتشف ألاّ مناص من التطفل على أمكنة نادرة وجد أن عليه تكييفها لتمرير خطابه. فأنشأ داخلها جداراً من صفائح خشب مستطيلة التصقت ببعضها وعلّق عليها أعماله..

عبد الرزاق سوادي فنان تشكيليّ بصريّ عانى من عدم وجود قاعة فنية مؤهّلة يعرض فيها أعماله، واضطر إلى أن يقيم أحد معارضه الشخصيّة في البيت الثقافيّ، كما أقام معرضاً آخر في القبّة الفلكيّة لجامعة البصرة. وفي هذين المعرضين احتال سوادي على المكان فصنع فضاء للعرض داخل فضاء أوسع غير محايد مستعيناً بجدران من الخشب..

لكنه حين دُعِي، من قبل التجمع الثقافي في البصرة، إلى أن يقصّ قصته مع اللوحة والألوان، وأن يعرض عدداً من أعماله في دار قديمة يتخذ منها التجمّع مقرّاً لأنشطته، لم يكلّف نفسه، هذه المرّة، عناء الاحتيال على مكان غير مؤهّل، فاكتفى بتعليق تسع عشرة لوحة زيتيّة أنجزها في سنوات متفرقة على جدران الفناء الداخلي لدار التجمع الثقافي. وفي هذا المكان قصّ قصّته لجمهور أنصت إليه بتعاطف كبير صبيحة الجمعة الموافقة ٢٠١٢/٢/١٧.

وحيث وجد الفنان مساحة فارغة على جدران بالية، علّق لوحة من لوحاته حتى لو كانت هذه المساحة على شباك عتيق، أو بالقرب من السقف! وكانت النتيجة اختلاط اللوحات بمعالم الجدران، وبالإعلانات الملصقة عليها، وبشبابيكها، وبأبواب الغرف، وأجهزة الكهرباء، وغيرها.. وحصل التشويش الذي لم يمكن بالوسع تفاديه في عرض عشوائي قلّل، إلى حدّ بعيد، من فرصة التلقي المريح للعين بمواجهة لوحات على سطح لم يكن محايداً بالمرّة..

اخترع التشكيلي ذو الخمسة والسبعين عاماً كنايةً وتشبيهاً، حين شرع يقصّ قصته، فقال "أنا طلوع ربّي"! و"أنا مثل العاقول"! معترفاً لجمهوره بأنه فنان هاو، لم يتلق تعليماً أكاديمياً يؤهّله ليكون محترفاً.

كما اخترع سبباً لعرض أعماله، بالكيفيّة التي ذكرناها، في دار التجمّع القديمة قائلاً إن هدفه ليس إقامة معرض شخصيّ، بل هو يسعى إلى تحريك الجوّ الثقافيّ عموماً، والجوّ التشكيلي خصوصاً في مدينته. فهذان الجوّان، بحسب قناعته، راكدان، وهما بحاجة إلى حجر يحرّك مياههما، حتى لو كان هذا الحجر قصّة رحلة مع اللّوحة تُقصّ على جمهور في فوضى دار قديمة..

ويبدو أن التشكيليّ الشيخ يحلم بأن يستعيد الإبداع، والثقافة عموماً، تأثيرهما في جمهور عريض يجتذبانه فيقبل عليهما حيث يلقيان خطابهما الذي يجب أن يكون، برأيه، واقعياً، بعيداً عن الشكلانيّة والغموض، داعياً المثقف إلى أن يتبوّأ مكانه من جديد كـ "طليعة المجتمع" ومن دون تعال كما حرص على القول.. وربما فاته أن يقول إن مثقفه ما يزال يعمل بآليات وأطر تقليديّة داخل حاضنات مغلقة بعيدة عن الفضاء العام المثقل بأعباء أوضاع مزرية بلا حصر..

لا جديد في القصّة التي قصّها الفنان سوادي مرتجلاً عن تجربته، فهو، كغيره، شرع يرسم منذ الطفولة، وحين كان تلميذاً، واكتسب مهاراته من خلال تقليده أعمال عدد من الرسّامين، ثمّ استوى تشكيلياً بشخصيّة مستقلّة..

وما جعل قصته ذات وقع ملحوظ في مستمعيه أسلوبه البسيط في قصّها، وإنهاؤه كلّ مقطع من مقاطعها بعبارة فكهة قالها بالعامية. كذلك تواضعه الذي جعله يعترف بأنه مجرّد فنان هاو، ولم يغتمّ أو يعترض حين وصفه بعْض جمهوره بأنه فنان فطريّ تنقصه مهارات فنيّة أساسيّة..

الطريف كذلك تأكيد هذا الفنان أنّه ماركسيّ وعياً وثقافة وتوجّهاً، وأنه في الفنّ واقعيّ، بل واقعيّ اشتراكيّ. كأنه بذلك أراد أن يريح مستمعيه ومعظمهم يساريّون ضاعت فرصتهم، أو ضيّعوها، في فضاء احتجزته الطوائف واحتكرته لعصابها..

صناعة الفضاء في العدم لم تقتصر على التشكيليّ عبد الرزاق سوادي، فما أن فرغ من قصته، حتى انخرط آخرون بصناعة فضاء آخر بين جدران دار التجمع القديمة ذاتها... كانوا بضعة موسيقيين شبّان أمسكَ أحدهم عوده الجميل وطفق يحرّك أوتاره، ومع الأنغام انطلق أقرانه يغنون بعذوبة:

"لّينا.. لّينا! يا بصرة، لّينا!".

في (سنوات الهراء)...
وصـف جـان فـوتـران لأشـبـاح جحيـم الحـرب

مع جنوده الاربعة الخارجين توا من الحرب العالمية الاولى، ينسج الكاتب جان فوتران ملحمته الروائية الجديدة (سنوات الهراء) ملاحقا الفترة التاريخية التي مروا بها... تضم مجموعة الجنود تلك العامل غي موبتي الذي يطلق عليه اسم (راميه) وزارع العنب راوول مونيتش والرسام الروسي بوريس مالينووتش والنبيل ارنودي تينسري وايضا شخصيات اخرى تتفاعل مع بعضها بتوحش وشراسة...

ترجمة: عدوية الهلالي

سيستمتع قراء الرواية بمتابعة حياة اولئك الجنود الاربعة الاقوياء والشجعان وسيتابعون بتشوق الانقلابات التي ستطرأ على حياتهم بعد الحرب سيما وانهم يجتازون طريقهم بصعوبة من الموت المحتوم في جحيم الخنادق الى الحياة..

انهم يسترجعون بألم ذكرياتهم المريرة مع الكولونيل الكريه ريموزا دي فوبريمو ويصبح عبئها ثقيلا عليهم بسبب حقدهم على شاربلييه –الجاسوس القديم للكولونيل والذي التقوه مصادفة بعد ان اصبح شرطيا ذا طموح كبير ومازال يحاول بأي ثمن اثبات تورط الجنود الاربعة في جريمة قتل الكولونيل الذي كان مكروها من الجميع خلال الحرب..

وينجح قلم فوتران في رسم انفعالات ابطاله التي تتراوح بين الفشل والفرح والحزن ففي كل صفحة من صفحات كتابه نجد انفعالات مؤثرة ولايخلو أي سطر من سطور كتابه من اسلوبه المليء باصطلاحات لغوية مميزة اذ يدفع القارئ ليعيش مع الابطال في باريس المليئة بالناس وليشعر بانسانيتهم...هي رحلة سريعة اذن عبر الزمن والمشاعر..وهي انشودة للسلام ايضا، ذلك السلام الذي يوقف دوي المدافع وضجيج البنادق والذي يصعب الحصول عليه بالتاكيد رغم انه ينبغي ان يجد طريقه الى قلوب الجميع..انه وقبل كل شيء ذلك السعي الذي يصفه لنا الكاتب الفائز بجائزة غونكور لعام ١٩٨٩عن كتابه (خطوة

جان فوتران

كبيرة نحو الله)..سعي اربعة جنود تم تسريحهم من الجيش ليبدأوا الصراع من اجل الاستقرار والعثور على السعادة بعد جحيم الحرب معتمدين على صداقتهم الوطيدة ورغم العقبات العديدة التي تعترض طريقهم..

(سنوات الهراء) اذن هي ملحمة روائية عن اشباح وذكريات الحرب التي يمكن ان تاخذ صورا مختلفة من الشرير شاربلييه الى الطيار المسكين فيليسيان بازاياك الذي اصيب بشكل رهيب وتشوهت ملامحه بعد تحطم طائرته..

مع ذلك ورغم الصعوبات والآلام، يبقى الامل حيا دائما فالكاتب يدعو الى التفاؤل وينبذ التعجرف كما يصف الاشياء والافعال بشكل حقيقي تماما وواقعي جدا..انه يترك قلمه يعبر عما يرغب بقوله بحرية كبيرة في روايته (سنوات الهراء) الصادرة مؤخرا عن دار روبير لافون للنشر في ٤٥٨ صفحة...

قناديل

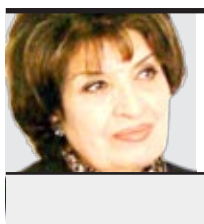

■ لطفية الدليمي

روائيون من العالم:
العنصرية والرواية السوداء وروايانا العراقية

القسم الثاني

في ملتقى الرواية الذي تحدثت عنه الأسبوع الماضي عرض الروائي الكاميروني الفرنسي (فكتور بواديخو) معاناته من التمييز العنصري في الثقافة الغربية الفرنسية، فهو يعيش في فرنسا ومتزوج من سيدة فرنسية ويحمل الجواز الفرنسي منذ سنوات ولكنه ظل يواجه أنواعاً من التمييز بسبب لونه الأسود – وبعد ثماني سنوات من محاولات تأسيس دار نشر باسمه كان يواجه مرارا بالرفض القاطع من قبل السلطات الفرنسية ما اضطره أخيرا إلى إيجاد شريك فرنسي أبيض ليسجل دار النشر باسمه ويصبح هو الرجل الثاني في المشروع رجل – الظل بسبب العرق واللون.

(خوسيه بن ناصر مونليون) الأندلسي – مدير المعهد العالمي لمسرح حوض البحر المتوسط، قدم محاضرة قيمة تمتلك نظرة شخصية ناقدة للغرب ولطبيعة العلاقات القائمة بين الغرب والآخر، وكانت محاضرته بعنوان (المتخيل وتأريخ تطور المجتمعات) وأكد خوسيه بن ناصر مونليون في محاضرته على أهمية الخيال في خلق الأعمال الراقية التي لا تخضع لاشتراطات الاستهلاك والسوق وأعلى المبيعات ودعا إلى اعتماد (المخيلة) الإبداعية للبحث عن سبل لإنقاذ الروح الإنسانية من الدمار والخراب الذي يحيطها ويلوح لها بالفناء لأنها لا تتطابق مع الطروحات العنيفة للمتطرفين الذين يسعون إلى تدمير الحياة.

وقدم البروفيسور العراقي د. وليد صالح خليفة أستاذ الدراسات العربية والإسلامية في جامعة اسبانية محاضرة عن (الكتابة والحرب في السنوات الأخيرة) من وجهة نظر نقدية تحليلية لبعض الأعمال وقدمت محاضرتي عن مكابدات الكتابة وأوضاع المرأة في العقود الثلاثة تحت نيران الحروب والاستبداد والحصار ثم الكتابة تحت وطأة الاحتلال والإرهاب، وعرضت صورة بانورامية عن المنابع الثقافية العراقية المؤثرة في الإبداع العراقي المعاصر ثم قدّم الروائي الكوبي (خوستو باسكو) محاضرة عن مؤتمر (الرواية السوداء) الذي عقد في مدينة (خيخون) الاسبانية وهو تقليد سنوي يبحث فيه الروائيون شؤون الرواية القاتمة والكابوسية والمأساوية الكاشفة عن فظاعات الأنظمة وعذابات الإنسان المعاصر وتتناول الموضوعات المتعلقة بالعنف والحروب والهجرة والاضطهاد، واكتشفت حينها أن معظم الأعمال الروائية العراقية الصادرة خلال العقود الثلاثة الماضية تقع ضمن تصنيف الرواية السوداء.

وعقب المناقشون على شهادتي (بأنها رواية سوداء مكتملة لا ينقصها سوى بعض عبارات الربط اللغوية وقليل من التقسيم الدرامي وأشاروا إلى أن محاضرتي أسهمت وبشكل كبير في تعريفهم بواقع الثقافة العراقية وكانوا يجهلون انجازات العراق في الأدب والمسرح والفنون وأشار احد المتحدثين وهو من بوليفيا إلى أنهم لم يكونوا يعرفون شيئاً عن العراق إلا من خلال الإعلام الغربي وبعض شهادات المغتربين الذين يتحدثون عن أنفسهم حسب.

وعقب مونليون إلى (أنها المرة الأولى والثمينة التي يستمع فيها إلى سيدة مثقفة من العراق عاشت حروب بلدها واحتلاله وشهدت ما جرى ويجري في وطنها وتمتلك الجرأة لتكشف عن قوة النساء في هذا البلد العريق).

وبعد الأمسيات كانت تدور نقاشات واسعة بشأن التجارب الروائية في القارات الثلاث وشاركت بتقديم صورة مكثفة عن الرواية والروائيين العراقيين وخصائص السرد العراقي وأيدى المثقفون الأسبان واللاتينيون والأفارقة اهتماما كبيراً بالتعرف على الثقافة العراقية، مشيرين إلى أهمية أن يقدم المثقف العراقي صورة مغايرة ومضيئة عن بلده بعد أن أسهم الإعلام الغربي والعربي في تقديم نظرة تعميمية مشوهة عن الشعب العراقي – بتسليطه الضوء على أعمال التخريب والنهب التي طالت المؤسسات لدى احتلال بغداد – ما رسخ هذه النظرة المشوهة في الذهن الغربي الخاضع غالبا لسطوة الإعلام.

ولـــوجٌ مُـعـفَّـر بالحنين

عبد الرحمن حسن سعد *

(١)
إنَّ الذي كان دون علوك
يعلو علي الذي علا المعالي
و اغترف من نهر المحبة أغنية
(٢)
سماؤك صاف و الألم
أرضُك سَماءُ الكَلِمة و الأمل
ماؤك خمر
و خمرك عذب زلال
(٣)
المسافات التي قطعتْك ترتعشُ
من وميض الذكريات
و ما أنا إلا ساقٍ
يذرفُ المطرَ علي أرضك الغرقى
(٤)
بين الموج و المنفي
قبلةٌ واحدةٌ
بينك و الخوف
ألف باب للولوج
بينك و بيني
أسرعُ لحظةٍ خاطفةٍ للحب
و الطفولة و المطر
(٥)
إن سفري بعيد كأمل أسير
فكوني الوردة اليانعة لأخلد
فيك
فأنا آخرُ بحر لسياج الفقراء
(٦)
أخاف موتي وحدي
أخافك أن لا تكوني غيمتي المُزن
اغسليني من أدران الطهارة
امنحيني ألقاً أهربُ به من
وضُوحي
افعميني بأزهار حُضُورك
دثّريني بهذا الكبرياء المُدلق منك
ثُمَّ لا تُخبري عني بخير
فما عدتُ أركن للهباء

* شاعر و قاص سوداني

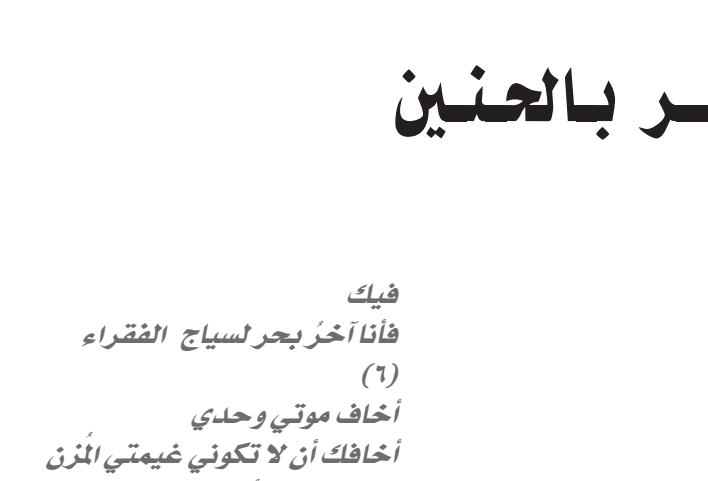

في جامعة ذي قار
عـالم آثـــار ايـطـالي يـحـاضـر عـن سومر

الناصرية: حيدر عبد الخضر

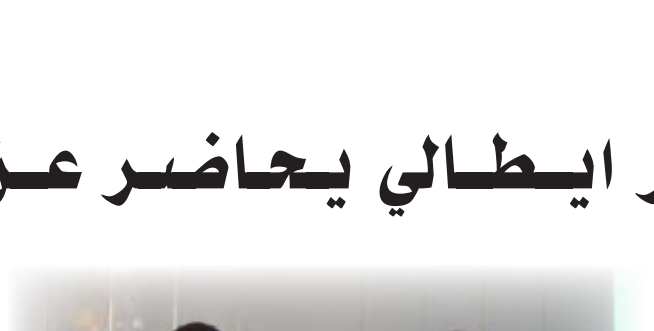

ضيفت كلية الاداب في جامعة ذي قار عالم الآثار الايطالي والباحث في جامعة روما الأستاذ (فرانكو) لتقديم محاضرة عن تاريخ وخصائص الحضارة السومرية، استهلت هذه الندوة بكلمة للدكتور حازم هاشم عضو اللجنة الثقافية الذي تحدث عن سياسة الحاكم المستبد التي أبعدت العراق لعقود طويلة عن ممارسة دوره الثقافي والحضاري في الانفتاح على الثقافات الأخرى والتي جعلت تاريخ ومنجز العراق منزويا في قاعات ميتة وكتب مهملة بصورة جعلت نخبنا الأكاديمية والثقافية عاجزة عن مواجهة الآخر المختلف والذي كان في نظرهم مجهولا...، بعد ذلك تحدث الدكتور علي إسماعيل عبيد عن دور الحضارة السومرية في إغناء البشرية والتراث الإنساني عموما مرحبا بالباحث والآثاري فرانكو لكل الجهود التي بذلها وما زال يبذلها هو وفريقه التخصصي التي تصب في خدمة المحافظة أولاً والبلد ثانياً والمشروع والمنجز الحضاري ثالثاً مثمناً جهود اللجنة الثقافية ومراكز البحث المتخصصة في الجامعة على استضافة مثل هكذا ندوات تسهم في تطوير وعي الأساتذة والطلبة بأهمية وقيمة تاريخنا ومكتسباتنا الحضارية والإبداعية... بعد ذلك ابتدأت المحاضرة التي أدارها الأديب والمترجم أمير دوشي التي أشار إلى أن التعاون بين المؤسسة العلمية وفروع المعرفة هو عنوان لنضج العملية التعليمية مؤكدا أن العراق لم يحصل على فرص للتنقيب منذ عام ١٩٩٠، وأن الفريق الذي يقوده فرانكو هو الفريق الثاني الذي جاء بعد عام ٢٠٠٣، وهو الآن ينقب في منطقة (أبو طبيرة) في منطقة تقارب مساحتها مساحة مدينة أور كما أشار إلى أن هنالك تعتيما مارسه النظام السابق على الحضارة السومرية ومحاولته لفبركة هوية ملفقة ومزيفة لسكان هذه المناطق التي لم ينقب منها لحد الآن أكثر من ١٠/ على الرغم من وجود ألف ومائتي موقع في المحافظة وحدها، بعد ذلك تحدث الباحث فرانكو عن مذكرة التعاون التي وقعها مع رئاسة الجامعة بشقيها العلمي والثقافي، موضحا بان جامعة روما ستنظم مؤتمرا خاصا عن الآثار العراقية وسيكون هناك ممثل للجامعة في هذا المؤتمر وهي فرصة للقاء المثقفين والأساتذة في الجامعتين وتبادل الخبرات والمشاريع مبيناً بأنه اشرف على عدة رسائل واطاريح جامعية اثارية وأن لديه أربعة كتب في المسماريات وبأنه جاء مع فريقه المتخصص للتنقيب في منطقة أبو طبيرة التي تقع على بعد ٧ كيلو مترات جنوب الناصرية باتجاه البصرة وانه اكتشف أشياء مهمة تعود لمرحلة ما قبل التاريخ.. ثم تحدث عن أصل ونشوء الحضارة السومرية وعن فترة التحول من السلالات الأولى، ومرحلة توحد العراق القديم ودور نهري دجلة والفرات في التأثير الحضاري والمدني والاقتصادي، وعن تجربة الري في العراق مشبها مرحلة الاستيطان القديم بخصائصها ومميزاتها بالثورة الصناعية في بريطانيا في القرن الثامن عشر الميلادي ثم عرج في الحديث الى منطقة الأهوار، مشيرا الى مرجعياتها التاريخية وصورها المنقوشة في الأختام الاسطوانية القديمة، ثم تحدث عن التجربة الجينية ودورها في تحسين نوعية بعض المحاصيل واستقرار الإنسان، وكذلك عن دور ترسبات النهرين في صنع التربة وظهور أولى المستوطنات... الخ، بعد ذلك بدأت المداخلات وإثارة الأسئلة التي شارك فيها عدد من الأكاديميين والمثقفين والطلبة الذين حضروا هذه الندوة التي أقيمت على قاعة كلية الآداب في جامعة ذي قار..